بين الاقليمية والوحدة

●

تردد على السنة الناس في الايام الاخيرة اسم جزيرة في المحيط الباسيفيكي اختارها الخبراء الاميركيون مشهداً لتجارب القنبلة الذرية . وما تلك الجزيرة المشؤومة سوى واحدة من آلاف الجزر المنثورة في عرض ذلك المحيط . وقد كانت جميعها متصلة بعضها ببعض ، الى ان رمتها يد الزمان بحوادث جيولوجية من زلازل وبراكين ، فانفصلت وتفرقت ، وتنوعت فيها الاجناس . ونرى هذه الظاهرة نفسها في آسيا واميركا الشمالية . فقد كانتا متصلتين حيث يفصلهما اليوم بوغاز بيرين . وبانفصالهما تفرقت شعوبهما المتماثلة وتباعدت كما تشهد بذلك الشعوب المغولية في الصين وسيبيريا والشعوب الهندية الحمراء في الاميركتين .

ولا تنحصر هذه الظواهر المفرقة في الجغرافيا والجنس ، بل تتعداهما الى اللغات والثقافات والقوميات عندما تطغى عليها عوامل التفرقة . ففي القرن السادس عشر مثلاً نزح بعض الفرنسيس الى العالم الجديد واستوطنوا القسم الشمالي منه ، حيث انقطعوا عن الوطن . وكان من جراء ذلك ان ابتعدت لهجتهم عن اللهجة الام ، واصبحت على ممر الايام لغة أخرى . وتباينت تقاليدهم

وانفصلوا عن مجرى تاريخ آبائهم واجدادهم ، فاستحالوا بالتدريج الى قومية أخرى .

وفي القرن السابع عشر ركب بعض اهولنديين البحر الى رأس الرجاء الصالح واستوطنوا القسم الجنوبي من افريقية، حيث انقطعوا عن الوطن . وكان من جراء ذلك ان ابتعدت لهجتهم عن اللهجة الام ، واصبحت على مر الايام لغة أخرى . وتباينت تقاليدهم وانفصلوا عن مجرى تاريخ آبائهم واجدادهم ، فاستحالوا بالتدريج الى قومية أخرى .

وقد طغت على المغرب الاقصى عوامل طبيعية وغير طبيعية ، فصلت بينه وبين الشرق ، فابتعدت لهجاته عن العربية ، واختلفت تقاليد اهله عن العرب نوعاً،حتى كاد اليوم يصبح هجيناً في عروبته ، اعجمياً في لغاته ، خلاساً في قوميته .

فتاريخ الشعوب سجال بين عوامل التفرقة وعوامل الجمع والتوحيد . ومن هذه العوامل ما هو طبيعي،ومنها ما هومصطنع.

وقد كان نصيب العرب من هذه العوامل حتى الامس سجالا بين عوامل التفرقة وعوامل الجمع والتوحيد ، الى ان طغت عليهم عوامل التفريق . وهم اليوم على مفترق الطريق يعرجون بين التفتت والتكتل ، بين الاقليمية والوحدة . اقول هذا مع علمي بباودان وانشاص ، وما سبقهما من اجتماعات وولائم ، وبيانات تمخضت عن نص يدعى ميثاق الجامعة العربية .فان سلك العرب طريق الاقليمية انتهوا الى بلقان عربي ، تتناحر دويلاته وتتقاتل ، حتى تفني بعضها بعضاً ، او تقع فريسة لدب جائع ، أو أسد مفترس . واذاسلكوا

طريق الوحدة ، انتهوا الى ولايات عربية متحـــدة ، تضم خمسين مليوناً من العرب ، في سبع ولايات على الاقل ، متضامنين عـــلى الخير ، محترمين من الغير ، آفاقهم غير محدودة ،ايامهم غير معدودة .

ولسوء الحظ وحسنه ، ان عوامل التفرقة التي تعبث بالعروبة اليوم ليست طبيعية بل مصطنعة من صنع الاجانب وبعض المرتزقة . فقد نعم الهـلال الخصيب منذ الفتح العربي باكثر عوامل الجمع والتوحيد ، ان لم اقل كلها . وقامت دعائم الوحدة العربية الصالحة على اللغة الواحدة الموحدة والتاريخ الواحـد المشترك . وسار الهلال تحت لواء العروبة يوماً له ويوماً عليه . وفي ايام سعده باهى بعروبته واضاء بنبراسها طريق الغير ، وفي ايام محنته لم يتبرأ منها ، بل وجد في مآتيها عزاء ، وفي تراثها وحياً والهاماً . وقد حاولت الشعوبية مراراً ان تجرح عروبته وتمزق شملها وتمسخهـا الى جزر اقليمية او عنصرية مبعثرة ، فلم تنجح ، لان العروبة عقيدة منزهة عن الانتهازية ، تلازم العربي في سرائه وضرائه .

وكأني بشعبان الشعوبية قد رفع رأسة مرة اخرى في يومنـــا هذا ، وهمّ ان يثب لينشب انيابه السامة في صميم العروبة، تستهويه وتستفزه الى ذلك جمهرة من الحواة الاجانب والمرتزقة ، فينفخون بمزمار الاقليمية طوراً ، وبمزمار الطائفية طوراً آخر . ويطبلون بالفينيقية مرة وبحضارة البحر المتوسط مرة اخرى ، ويضربون على دف العامية حيناً ، وعلى دربك الزجل حيناً آخر ، لا غاية لهم إلا التفريق بين لبنان واخوته واخواته في العروبة ،وعزله عنهم ،حتى يعود باكياً الى احضان هاجر . وانى للجارية ان تكون اماً حنوناً ؟

غير ان « سيمفونية » السم هـذه ستتلاشى وتزول ، وستبقى العروبة عقيدتنا الفعالة من خليج فارس الى وادي النيل .

وما هذا التفاؤل الذي يملأ حنايا قلبي بعد ان كاد اليأس يقضي عليها الا من وحي الشبيبة التي اراها اليوم مجتمعة هنا من انحـاء الهلال الخصيب .

ان كثافة البلاد العربية خير ما تجسدت فيـه عوامل الجمع والتوحيد . وهذه العوامل بحمد الله وكرمه ، طبيعية غير مصطنعة ، اصيلة غير هجينة .

أنتم خير صلة بين اجزاء هذا الوطن . انتم ، بما تتعودونه في حياتكم الكشفية من الاعتماد على النفس والبذل والعمل ، ستبقون كيان العروبة وحدة فعالة حية .

أنتم ستقفون سداً مانعاً دون تفتت البلاد الى اقاليم ودويلات وستحولون دون زلازل التفرقة وبراكين الانفصال .

انتم لا تكتفون بالاقليمية ولا ترضون بها .

أنتم لا تقنعون بالوضع الحاضر المتجه الى التباعد والانعزال . وانا مثلكم لا اقنع ولن اقنع باستقلال الاقطار العربية فحسب ، بل انتظر استقلالها ضمن وحدة شاملة فعـالة ، هي الولايات المتحدة العربية . ولا تقوم لشعب وحدة الا بالمواصلات المـادية بين افراده والمواصلات الفكرية والروحية التي تربطهم .

ـ وفي هذا المخيم تجتمع جميع هذه المواصلات ومنه تمتد لتربط اطراف البلاد العربية وقلوب ابنائها .

انتم على موعد مع المستقبل ، فعلى عاتقكم قد القيت تبعة مصير

البلاد العربية وتحقيق اهدافها في وسط هذا التنازع بين عوامل التفرقة وعوامل الجمع والتوحيد . فاذا سادت – لا سمح الله – الاولى ، اضحت البلاد العربية من حيث التفتت والضعف ، مثل جزر المحيط الباسيفيكي التي تتوسطها بيكيني .

اما اذا سادت عوامل الجمع والتوحيد – وهي لا محالة سائدة – تجتمع الكلمة وتقوم بين قرني الهلال الخصيب وحدة حية فعالة ، هي الولايات المتحدة العربية ، تساهم في التاريخ ثانية مساهمة حرة ، وتعمل مرة اخرى على خلق جزء من حضارة العالم .